(٩٢)

رايات الإسلام
على أبواب مكـة

أبو سفيان : والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيمًا!

العباس : ويحك يا أبا سفيان.. إنها النبوة!

«خباء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى مر الظهران، وقد أذن عليه السلام لعمه العباس ولأبى سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل ابن ورقاء.. فى أعقابهم يدخل عمر بن الخطاب مندفعًا لاهثًا لا يلوى على شىء..».

عمر بن الخطاب : يا رسول الله! هذا أبو سفيان عدو الله، قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعنى فلأضرب عنقه..

العباس : (يتداخل منبريًا) يا رسول الله إنى قد أجرته!

«النبى – عليه السلام – صامت يراقب فى صبر وحلم السجال بين عمه العباس وصاحبه عمر بن الخطاب.. العباس يدافع باستماتة عمن أجارهم، وعمر يذكر ما سلف منهم ومن أبى سفيان من كيد للإسلام ورسوله، ويلح على النبى أن يدعه يقتص ممن أساء للإسلام وأمعن فى الإساءة والإيذاء..».

العباس : (معاتبًا) مهلاً يا عمر، فوالله لو كان من رجال بنى عدى ابن كعب ما قلت هذا، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف!

عمر بن الخطاب : مهلاً يا أبا الفضل، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلىّ من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بى إلاّ أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم..

«النبى – عليه السلام – لا يفارقه هدوؤه.. يشع سكينة على الجميع، فيهدأ عمر بن

الخطاب، وينسحب من الخباء تاركًا العباس ومن معه في صحبة الرحمة المهداة..»

* * *

«بخباء النبي – عليه السلام – وقد انصرم معظم الليل والنبي عليه السلام يستخبر أبا سفيان وصاحبيه عن أحوال مكة وأهلها.. حتى إذا انصرم معظم الليل التفت عليه السلام إلى العباس..».

النبي : يا عباس..

العباس : لبيك يا رسول الله..

النبي : (وهو يشير إلى أبي سفيان) اذهب به يا عباس إلى رحلك فقد أجرته لك، فليبت عندك حتى تغدو به علينا إذا أصبحت..

العباس : (وهو ينصرف بأبي سفيان وصاحبيه) نفعل إن شاء الله.. «ينصرفون..».

* * *

«بخباء العباس، معه أبو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء.. مع تباشير الصباح، يفجأ أبو سفيان وصاحباه بصوت الأذان وهروع الناس، أبو سفيان ومن معه يثبون فزعين..».

أبو سفيان : (للعباس) ما يصنع هؤلاء يا أبا الفضل؟

العباس : الصلاة.

أبو سفيان : كم يصلون؟

العباس : خمس صلوات فى اليوم والليلة..

أبو سفيان : كثير والله!

«أبو سفيان وصاحباه يراقبون فى دهشة إقبال المسلمين على الوضوء بين يدى الرحمة المهداة..».

أبو سفيان : (يتمتم لنفسه وهو ملتفت للعباس) ما رأيت مُلكا كهذا قط، ولا ملك كسرى ولا قيصر!!.

«أبو سفيان وصاحباه يراقبون فى دهشة وعجب تكبير الرسول وتكبير المسلمين خلفه، وركوعه وركوعهم خلفه، وسجوده وسجودهم خلفه.. يتسرب إليهم رغمًا عنهم الإحساس بجلال الموقف..».

أبو سفيان : (لصاحبيه) ما رأيت كاليوم طاعة، قوم جمعهم من ها هنا وها هنا، ولا فارس الأكارم، ولا الروم ذات القرون بأطوع منهم له.

«أبو سفيان يتابع النبى – عليه السلام – فى فضول ممزوج بإعجاب يجتهد فى مداراته.. ينتظر حتى يفرغ النبى والمسلمون من الصلاة فيسارع إلى العباس..».

أبو سفيان : يا أبا الفضل، أصبح والله ابن أخيك عظيم الملك.

العباس : إنه ليس بملك، ولكنها النبوة..

أبو سفيان : أو ذاك؟!

العباس : ويحك، آمن!

أبو سفيان : (وهو يتابع عودة النبى إلى خبائه) أدخلنى عليه يا أبا الفضل!

«العبـاس يقود أبا سـفيان وحكيـم بن حزام وبديل بن ورقاء إلى خباء النبى عليه السلام..».

«بخبـاء النبـى – عليه السـلام – وقد أذن للعباس وأبى سـفيان وصاحبيه.. يدخلون عليه وقد افترش حصيرًا خشنًا..».

النبى : (لأبـى سـفيان) ويحـك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلاّ الله!.

أبو سفيان : بأبـى أنت وأمى!! مـا أحلمك وأكرمـك وأوصلك وأعظم عفوك! إنه لو كان مع الله إله لقد أغنى عنى شـيئًا بعد، لقد استنصرت إلهـى واسـتنصرت إلهك، فوالله ما لقيتك من مرة إلاّ نُصرت علىّ – فلو كان إلهى محقًا وإلهك مبطلاً غلبتك!.

النبى : ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله؟!.

أبو سفيان : بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأكرمـك وأوصلك وأعظم عفوك! أما هذه فوالله إن فى النفس منها حتى الآن شيئًا!.

العباس : (لأبى سفيان) ويحـك! أسلـم واشهـد أن لا إله إلاّ الله وأن محمدًا رسول الله..

أبو سفيان : (مستسلمًا) أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمدًا رسول الله..

«حكيـم بن حـزام وبديل بن ورقـاء ينطقان بالشهادة..».

حكيم وأبو سفيان : يـا رســول الله، جئت بأوباش الناس، مـن يُعرف ومن لا يُعْرف، إلى عشيرتك وأهلك!.

النبى : أنتم أظلم وأفجر، قد غدرتم بعهد الحديبية، وظاهرتم على «بنى كعب» بالإثم والعدوان فى حرم الله وأمنه!.

حكيم وأبو سفيان : يا رسول الله، لو كنت جعلت حدتك ومكيدتك بهوازن، فهم أبعد رحمًا وأشد عداوة لك!!.

النبى : إنــى لأرجــو من ربــى أن يجمع لى ذلك كلــه بفتح مكة، وإعزاز الإســلام بها، وهزيمة هوازن.. فإنى راغب إلى الله تعالى فى ذلك..

«أبو ســفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء مبهوتــون، يصغون إلى كلمــات النبى وكأن على رؤوسهم الطير!».

أبو سفيان وحكيم : يا رسول الله ادع الناس بالأمان، أرأيت إنْ اعتزَلتْ وكفت أيديها، آمنون هم؟.

النبى : نعم.

العباس : يا رســول الله، قد عرفت أبا سفيان وجه الشرف والفخر، فاجعل له شيئًا..

أبو بكر : (وقد لحق بالمجلس) إن أبا سفيان رجل يحب السماع..

النبى : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن.

أبو سفيان : (وهو يغالب اغتباطه) وما تسع دارى يا رسول الله؟!

النبى : (مضيفًا) ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن..

* * *

«النبى – عليه السلام – فى حضرته العباس بعد أن خرج أبو سفيان وصاحباه.. يبادر العباس مستدركًا..».

العباس : (للنبى) يا رسول الله، إنى لا آمن أبا سفيان أن يرجع عن إسلامه فاردده حتى يفقه ويرى جنود الله معك..

صحابى : أصاب العباس.

أبو بكر : يا رسول الله، لو أمرت بأبى سفيان فحبس على الطريق؟.

النبى : (للعباس) يا عباس، احتبسه بمضيق الوادى عند خَطْم الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها.

«العباس يطير لتنفيذ ما أمر به رسول الله عليه السلام..».

أبو سفيان وحكيم : يا رسول الله ادع الناس بالأمان، أرأيت إنْ اعتزَلتْ وكفت أيديها، آمنون هم؟.

النبى : نعم.

العباس : يا رسول الله، قد عرفت أبا سفيان وجه الشرف والفخر، فاجعل له شيئًا..

أبو بكر : (وقد لحق بالمجلس) إن أبا سفيان رجل يحب السماع..

النبى : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن.

أبو سفيان : (وهو يغالب اغتباطه) وما تسع دارى يا رسول الله؟!

النبى : (مضيفًا) ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن..

* * *

«بمضيق الوادى المؤدى إلى مكة، عند خَطْم الجبل (أنف الجبل)، يقف العباس وإلى جواره

أبو سفيان يرقبان أرتال المسلمين الماضية إلى مكة باللـواءات والأعلام والرايات.. تسـبق فى المرور أرتال بنى سـليم فى نحو ألـف عليهم خالد بن الوليد، وفيهـم لـواء يحمله عبـاس بن مرداس السـلمـى، ولـواء يحمله خُفاف بن نُدْب، وراية يحملها الحجاج بن علاط..».

أبو سفيان : (مأخـوذًا) ما كل هذه الجحافل يـا أبا الفضل؟! آمن كل هؤلاء!!

العباس : وأكثر يا أبا حنظلة!!

«يمر خالد بن الوليد فى ألويته بمحاذاة موقع العباس وأبى سفيان.. خالد يكبر ثلاثًا..»

أبو سفيان : من هؤلاء يا أبا الفضل؟

العباس : خالد بن الوليد..

أبو سفيان : الغلام؟!

العباس : (متجاهلاً تعليقه) على ألف من بنى سليم..

أبو سفيان : ما لى وبنى سُلَيْم!

«أبو سـفيان ينظر مبهورًا.. لا يكاد رتل خالد ابن الوليد يمر، حتى يعقبه رتل آخر عليه الزبير ابـن العوام فى نحو خمسـمائة مـن المهاجرين وأفناء العرب.. بمحاذاة العباس وأبى سفيان يمر الزبير بن العوام حاملاً راية سـوداء، الزبير يكبر ثلاثًا..».

أبو سفيان : من هؤلاء يا أبا الفضل؟

العباس : (مزهوًا) هذا الزبير بن العوام.

أبو سفيان : ابن أختك؟

العباس : نعم.

«تظهر قبيلة غفار يحمل رايتها أبو ذر الغفارى، تتوالى تكبيراتها وهى تمر بمحاذاة العباس وأبى سفيان..».

أبو سفيان : من هؤلاء يا أبا الفضل؟

العباس : هذه غفار.. يحمل رايتها أبو ذر: جندب بن جنادة.. إنه سيد غفار منذ أسلم.

أبو سفيان : (مبهورًا) ما لى ولبنى غفار؟!.

«فى مكمنهما بخطم الجبل، العباس وأبو سفيان يرقبان مرور أرتال القبائل.. «أسلم» فى أربعمائة يحمل أحد لواءيها بُرَيْدة بن الحصيب، ثم بنو كعب بن عمرو إخوة أسلم.. فى خمسمائة يحمل رايتهم بُسْر بن سفيان..».

أبو سفيان : وهؤلاء؟!

العباس : بنو كعب بن عمرو إخوة أسلم..

أبو سفيان : نعم، هؤلاء حلفاء محمد..

«تمر قبيلة «مُزَيْنة» فى ألف فيها ثلاثة ألوية ومائة فرس، يحمل ألويتها النعمان بن مقرن وعبد الله بن عمرو بن عوف، وبلال بن الحارث.. الجميع يكبرون، تتجاوب أصداء تكبيراتهم فى جنبات الوادى..».

أبو سفيان : ومن هؤلاء يا أبا الفضل؟!

العباس : هذه مُزينة.

أبو سفيان : (ممرورًا) ما لى ولمزينة؟ قد جاءتنى تقعقع من شواهقها!

«يتوالى مرور أرتال القبائل فى مضيق الوادى.. تمر «جهينة» فى ثمانمائة تحمل أربعة ألوية يحملها أبو روعة معبد بن خالد، وسويد بن صخر، وعبد الله بن بدر.. تتلوها «كنانة» فى مائتين يحمل لواءهم أبو واقد.. تتعالى تكبيراتهم فى جنبات الوادى..»

أبو سفيان : من هؤلاء؟!

العباس : بنو بكر؟

أبو سفيان : نعم.. (مغيظًا) أهل شؤم والله! هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم!

العباس : قد خار الله لكم فى غزو محمد.. أتاكم منكم وتدخلون فى الإسلام كافة..

«يتتابع مرور أرتال القبائل.. تمر «بنو ليث» فى مائتين وخمسين يحمل لواءها الصعب بن جثامة، تتلوها «أشجع» فى ثلاثمائة يحمل لواءيها معقل بن سنان، ونعيم بن مسعود.. تتعالى تكبيراتهم..»

أبو سفيان : من هؤلاء يا أبا الفضل؟

العباس : هؤلاء كانوا أشد العرب على «محمد»!

وأدخل الله الإسلام فى قلوبهم، فهذا فضل من الله..

أبو سفيان : (وهو يتطلع إلى الوادى) أمضى محمد؟!

العباس : لا. لم يمض بعد. (يستأنف) لو أتت الكتيبة التى فيها رسول الله رأيت الحديد والخيل والرجال، وما ليس لأحد به طاقة!

أبو سفيان : (محسورًا) ومن له بهؤلاء طاقة؟!!

«فى بداية مضيق الوادى تظهر الكتيبة الخضراء فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تضم المهاجرين والأنصار، وفيها الرايات والألوية، مع كل بطن من بطون الأنصار والمهاجرين لواء وراية، وهم فى الحديد لا يرى منهم إلاّ الحدق..»

أبو سفيان : (مبهورًا) سبحان الله يا عباس! من هؤلاء؟!

العباس : هذا رسول الله.

عمر بن الخطاب : (مناديًا على الصفوف) رويدًا حتى يلحق أولكم آخركم..

أبو سفيان : (مستهولاً) يا لكثرة الحديد فى هذه الكتيبة؟!!

العباس : هذه الكتيبة الخضراء!

أبو سفيان : (يردد مأخوذًا) الكتيبة الخضراء!

العباس : (مزهوًا) نعم فيها رسول الله، وفيها المهاجرون والأنصار، والرايات والألوية.. مع كل بطن راية ولواء.

أبو سفيان: : (يكرر - محزونًا) يا لكثرة الحديد فى هذه الكتيبة.. لا يرى منها إلاّ الحدق.. ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة.. (مستأنفًا) والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيمًا!

العباس : ويحك يا أبا سفيان.. إنها النبوة!

أبو سفيان : فنعم إذن!

«يمضيان مسرعين ليتابعا المشهد من موقع آخر..»

* * *

«الكتيبة الخضراء وفيها رسول الله – عليه السلام – ماضية فى الوادى إلى ذى طوى، يرقبها أبو سفيان مع العباس، فما يكاد أبو سفيان يرى النبى حتى يبادر إليه شاكيًا ما سمع أن سعد بن عبادة قد هدد وتوعد به..».

أبو سفيان : (مناديًا) يا رسول الله، أمرت بقتل قومك؟!

«النبى عليه السلام ينظر إليه مستنكرًا!!»

أبو سفيان : (يستأنف) ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟

النبى : ما قال؟!

أبو سفيان : إنه ينادى فيمن معه – اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة! (يستأنف) وإنى أنشدك الله فى قومك، فأنت أبر الناس، وأوصل الناس، وأرحم الناس..

عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله، ما نأمن سعدًا أن تكون منه فى قريش صولة!

النبى : بل اليوم يوم المرحمة.. يا أبا سفيان، اليوم يوم المرحمة.. يوم يعظم الله فيه الكعبة، وفيه تكسى الكعبة..»

أبو سفيان : (لنفسه) ما أبرك وأكرمك وأوصلك وأرحمك..

«النبى – عليه السلام – ينادى فى المسلمين من يبعث به إلى سعد بن عبادة..».

«على مشارف مكة، وقد طار إلى النبى – عليه السلام – أحد شباب الأنصار ليكون مبعوثه إلى سعد بن عبادة.. النبى – عليه السلام – يوصيه أن يلحق بسعد ليجعل اللواء لابنه قيس بن سعد..».

«بعد بضع ساعة بنفس المكان.. الشاب الأنصارى عائد من لدى سعد بن عبادة.. يخبر رسول الله بأن سعدًا يطلب أمارة من رسول الله حتى يطمئن إلى أنه عليه السلام الذى يريد ذلك.. النبى – عليه السلام – يدفع عمامةً له إلى الشاب الأنصارى ليذهب بها – كأمارة – إلى سعد بن عبادة..».

* * *

«سعد بن عبادة وسط أرتال الأنصار.. يستقبل سعد أمارة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيسارع بدفع اللواء إلى نجله قيس.. ينساب الاطمئنان فى حنايا الجميع أن اليوم يوم المرحمة كما قال رسول الله..».

* * *

«فى ذى طوى، على أعلى مداخل مكة.. النبى – عليه السلام – على ناقته القصواء يرتدى

عمامة سوداء وقد أرخى طرفها بين كتفيه، ويتهيأ لدخول مكة من عند «أذاخر» (ثنية بين مكة والمدينة) بعد أن بعث أرتالاً لدخولها من أسفلها.. يلاحظ المسلمون أن النبى - عليه السلام - يحنى هامته خشوعًا وتواضعًا وشكرًا لله حتى لكادت لحيته تمس وسط الراحلة.. يتقدم إليه العباس..»

العباس : يا رسول الله!! لو أذنت لى فأتيت أهل مكة، فدعوتهم وأمنتهم!!

«العباس يغتنم فرصة أن النبى عليه السلام ساكت لا يرد وقد لاحت على محياه بسمة، فيطير إلى الشهباء: بغلة الرحمة المهداة، وينطلق بها ينشد أهل مكة.. لا يكاد العباس ينطلق حتى ينادى الرسول عليه السلام فيمن حوله..».

النبى : ردوا علىّ أبى، ردوا علىّ أبى.. فإن عمّ الرجل صنو أبيه!

الصحابة : هو فى أمان بإذن الله..

النبى : أخاف أن تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود.. دعاهم إلى الله فقتلوه أما والله لئن ركبوها منه لأضربنها عليهم نارًا!

* * *

«على مدخل مكة، يلتقى العباس بأبى سفيان.. يتداولان سريعًا فيما ينبغى على كل منهما عمله.. يطيران كل إلى غايته كيما تحتكم

قريــش إلى العقل وتلبــى دعوة الرحمــة المهداة بتجنب القتال..».

* * *

«بحى من أحياء مكة من جهة الشمال العباس ينادى فى الناس»

العباس : (مناديًا) يا أهل مكة ! ! أسلموا تسلموا قد استبطنتم بأشهل بازل..

* * *

«أبوســفيان وقد دخل مكة من موضع «كداء» (جبل بأعلى مكة من ناحية الشــمال).. يلاقيه العباس..».

العباس : يــا أبا حنظلة.. انجُ ويحــك، فأدرك قومك قبل أن يُدخل عليهم..

«أبوســفيان ينطلق فى أحياء مكة ينادى فى الناس وقد أخذه الوجل والاضطراب ! !».

أبوسفيان : (مناديًا) يا معشــر قريش، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به، أسلموا تسلموا..

«الناس تطير إلى أبى سفيان وجلة مستطلعة ! !»

القرشيون : (مرددين فى دهشة) نسلم؟ ! !

أبوسفيان : أجــل. أســلمــوا تســلمــوا.. (مزهــوًا بنفســه) من دخل دار أبى سفيان فهو آمن!

القرشيون : (يـرددون مسـتنكـرين) دارك؟!.. قاتلـك الله! وما تغنى دارك ؟!

أبوسفيان : ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن..

«أبو سفيان يجوب أنحاء مكة يسبقه صراخه إلى النـاس حتى يصل إلى البيـت الحرام.. تقوم إليـه زوجه هند بنت عتبـة وقد أعماها الغضب بما تسمعه وتراه مـن زوجها!!»

هند بنت عتبة : (وقد أمسكت برأس أبى سفيان) ما وراءك؟!

أبوسفيان : (مضطربًا) هـذا محمـد فـى عشـرة آلاف عليهم الحديد، (مزهـوًا) وقد جعل لى من دخل دارى فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن طرح السلاح فهو آمن..

هند : (منتهرة وقد اعتراها غضب جامح) قبحك الله رسول قوم!

«أبوسفيان يزور عنها ويمضى فى ندائه..»

أبوسفيان : يا معشـر قريش ويحكـم! إنه قد جـاء ما لا قبل لكـم به! هذا محمد فى عشرة آلاف عليهم الحديد!

هند : (وقد جن جنونها) قبحك الله وافد قوم! (تمسـك بشاربه) اقتلوا هذا الحميت (البدين كثير الدهن) الدسـم الأحمس.. اقتلـوا وافدكـم هـذا، قبحـك الله وافـد قـوم!.. قُبح من طليعة قوم..

أبوسفيان : (وقد انفلت منها) ويلكم! لا تغرنكم هذه عن أنفسكم، فإنه قـد جاءكم ما لا قبل لكم به.. رأيت الرجال والكراع، فلا لأحد بهذا طاقة!

«أبو سفيان يمضى فى ندائه وقد امتلكه الزهو والخوف والاضطراب..»

* * *

«بالحجـون على مشـارف مكـة، وقد وصل الرسـول عليه السـلام والكتيبة الخضـراء مـن «أذاخـر» بغير قتال، لم يلاقوا كيدًا.. المسـلمون يضربون قبة للنبى عليه السـلام بينما يمر بينهم منادى الرسول ينهاهم عن القتال..»

المنادى : (مناديًا) إن رسول الله يأمركـم أن تكفوا أيديكم، ولا تقاتلوا إلاّ من يقاتلكم!

«مشارف مكة، يتتابع وصول كتائب الإسلام.. أبوعبيدة بن الجراح يقبل بالصف من المسـلمين الذين دخل بهم فيقف بمن معه عند رسـول الله صلى الله عليه وسلم..النبى عليه السلام يؤمر أبا عبيدة على «الحسّـر»: الذين بغير سلاح.. بينما يدخل الزبير بن العوام من ناحية «كـدًى» (جبل بيسـار مكة) من على المجنبة اليسـرى حسبما أمره رسـول الله – عليه السـلام – ما إن يصل الزبـير إلى«الحجون» (بقرب كـدًى) حتى يغرز رايته.. يقبل عليه العباس متسائلاً..»

العباس : ها هنا أمرك رسول الله أن تركز الراية؟

الزبير بن العوام : نعم

«الحجون بموضع قبة الرسول – عليه السلام – يتتابع وصول المسلمين، فيصل سعد بن عبادة ومن معه حاملا رايتهم قيس بن سعد بن عبادة.. دخلوا بدورهم من أعالى مكة من ناحية «كداء».. أهالى مكة يرقبون كتائب الإسلام فى وجل وانبهار، يدركون صدق مقالة أبى سفيان لهم أنهم لا قبل ولا طاقة لهم بصد هؤلاء.. ينظرون بتعجب كبير إلى نهى النبى – عليه السلام – للمسلمين عن القتال.. يتساءلون فيما بينهم كيف يفعل ذلك وقد آذوه وأخرجوه؟!!.. بينما المسلمون مشغولون بأنباء خالد بن الوليد الذى أمره النبى – عليه السلام – بالالتفاف ودخول مكة من«الليط» بأسفلها من ناحية الجنوب..».

* * *

«فى سفح «الخندمة» (جبل بمكة) –. صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل قد تنحوا عن الناس يتناجون فيما يفعلون.. كم تآمروا ودبروا وآذوا النبى – عليه السلام – والمسلمين؟!، يدور برؤوسهم أنهم لن يُغفر لهم ذنب فى هذا اليوم العصيب الذى توشك فيه كتائب الإسلام أن تغشى مكة من أعلاها وأسفلها.. ماذا عساهم أن يصنعوا.. إنهم لايجدون بدًّا من تأليب الناس على قتال رسول

الله، يصيحـــون فى الناس مؤلبين مســـتحثين..
يضـــوى إليهم ناس من قريش وناس من بنى بكر
وهذيل، يتلبسون السلاح، ويتحفزون للقتال..»

بعضهم : نقسم بالله لا يدخلها محمد عنوة أبدًا!!

الباقون : هيهات هيهات أن يدخلها محمد عنوة!!

«يمضى المجتمعون لجمع السلاح والعتاد لمنع رسول الله من دخول مكة»

«بقريب من المتجمهرين.. دار حماس بن قيس ابن خالد الدّيلى.. قـــد انزوى بمكان بالدار يعد ســـلاحًا ويصلح منه.. تدخل عليه زوجته فتلفاه على هذه الحال!»

زوجة حماس بن قيس : (مستنكرة) لماذا تعد ما أرى؟!

حماس : لمحمد وأصحابه!

الزوجة : والله ما أرى أنه يقوم لمحمد وأصحابه شىء..

حماس : (مســـتخفًا) إنى لأرجو أن أُخْدمك منهم خادمًا (آتى لك بخادم منهم) فإنك إليه محتاجة!!

الزوجة : (مســـتنكرة) ويحـــك لا تفعل ولا تقاتـــل محمدًا! والله ليضلن هذا عنك لو رأيت محمدًا وأصحابه!

حماس : (مكابرًا فى زهو) سترين.. (يكرر) إنى لأرجو أن أخدمك بعضهم..

(يستأنف منشدًا)

إنْ يقبلوا اليوم فما لى علة هذا سلاح كامل وأَلَّهْ
ذو غرارين سريع السلَّة

«حمـاس يندفع حامـلاً سـلاحه إلى خارج الدار..»

* * *

«فـي «الخندمـة».. عكرمة بـن أبى جهل وصفوان بن أمية وسـهيل بـن عمرو وحماس بن قيس بن خالد، وقد اجتمع إليهم نفر من الناس، تأخذهـم الحماقة فيتربصون بالسـلاح ويقذفون بالنبال طلائع خالد بن الوليد وقد جاء من«الليط» بأسـفل مكة فى قبائل أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة.. يندفع المشركون إلى قتال أحمق رامين المسـلمين بالنبل والسـهام، بينما يتأهب خالد ابن الوليد للقائهم.. يطير إلى المشركين أبوسفيان وحكيم بن حزام..».

أبو سفيان وحكيم بن حزام : (صائحين) يـا معشـر قريـش، علام تقتلون أنفسـكم؟!.. من دخل داره فهـو آمن، ومن وضع السلاح فهو آمن..

«مـع تطايـر النبال والسـهام، يـولى الأدبار كثيرون من أصحاب عكرمة وصفوان وسـهيل.. أصيب من جمعهم نحو بضعة عشـر رجلا وأخذ الباقـون يولون الأدبار فـى كل وجه.. يطرحون السلاح فى الطرقات والأزقة، ويطيرون إلى الدور يغلقون عليهم الأبواب!!..».

* * *

«دار حمـاس بن قيس بن خالد، مغبر الوجه يطرق الباب بشدة فى فرق هائل.. لا تكاد زوجته تفتح الباب حتى يندفع حماس إلى الداخل ذاهلاً ذاهب الروح!!»

زوجة حماس : (ساخرة عاتبة) أين الخادم الذى وعدتنى؟!

حماس : قبحك الله!

الزوجة : ما زلت منتظرة لك منذ اليوم..

حماس : دعى هذا عنك، وأغلقى علىّ بابى!

الزوجة : ويحـك! ألم أنهك عن قتال محمـد؟! وقلت لك ما رأيته يقاتلكـم يومًـا إلاّ ظهـر عليكم.. وما بابنا الـذى تريد أن تغلقه؟!

حماس : إن مـن أغلق عليه بابه فهو آمـن.. إنه لا يفتح على أحد بابه!! (ينشد حزينًا):

إنَّكِ لَـوْ شَهِدْتِ يَـوْمَ الخَنْدمهْ إذْ فَـرَّ صَفْوَانُ وَفَـرّ عِكْرِمَـــهْ
وَأَبُـو يَزِيـدٍ كالـعجوز المُؤتَمَـهْ واسْتَقْبَلَتْهُـمُ بالـسُّيوفِ المُسْلِمَهْ
يَقْطَعْنَ كُـلَّ سَاعِـدٍ وجُمْجُمَـهْ ضَـرْبًا فَـلاَ تُسْمَعُ إلاَّ الغَمْغَمَـهْ
لَهُـمْ نَهِيـتُ خَلْفَنَا وَهَمْهَمَـهْ لَـمْ تَنْطِقى فى اللَّوْمِ أدْنَى كَلِمَه

* * *

«النبى عليه السلام فى أصحابه بموضع القبة التى ضربها المسـلمون له، يسـأل عن خالد بن الوليد ومن معه لماذا تأخروا..

صحابى : لعله يقاتل!

النبى : إن الله حـــرم مكـــة.. فهى حرام بحرمـــة الله تعالى إلى يوم القيامة..

«تظهـــر طلائع خالد بن الوليـــد تدفع أمامها فلول المنهزمين مندفعين إلى رؤوس الجبال، ينظر النبى – عليه السلام – فيلمح بارقة السيوف..».

النبى : (لمن حوله) ما هذه البارقة؟!

الصحابى : هذا خالد يقاتل..

النبى : (غاضبًا) ألم أنه عن القتال؟

بعض الصحابة : قوتل خالد فقاتل، ولو لم يُقاتل ما قاتل!

النبى : (لأصحابه) قولوا له فليرفع يديه عن القتل..

«يطـــير بعـــض الصحابة إلى خالد بـــن الوليد لإبلاغه أمر الرسول عليه السلام..».

* * *

«بعـــد برهة.. خالد بن الوليد يقف أمام النبى عليه السلام..».

النبى : (عاتبًا) ألم أنهك عن القتل؟!

خالد : هـــم يا رســـول الله بادءونا بالقتال ورمونـــا بالنبل ووضعوا فينا الســـلاح.. كففت عنهم ما استطعت، وقد دعوتهم إلى الإســـلام وأن يدخلوا فيما دخـــل فيه الناس فأبوا حتى إذا لم أجـــد بدًا من قتالهـــم قاتلتهم فظفرنا الله بهم فهربوا من كل وجه!!

النبى : كف عن الطلب.

خالد : قد فعلت.

النبى : قضاء الله خير.

* * *

«بداخل مكة، دار أبى قحافة والد أبى بكر.. يتسامع بما يدور فى أرجاء مكة عن مقدم النبى عليه السلام فى أصحابه وفيهم أبو بكر.. يستبد الفضول بالشيخ الطاعن، ينادى وقد أوشك أن يكف بصره على أصغر بناته..».

أبو قحافة : أى بنية، اظهرى بى (اصعدى بى) على أبى قُبَيس (جبل بمكة)..

«بنت أبى قحافة تصحبه متوكئًا عليها وعلى عصاه إلى موضع بالجبل.. يرتقيانه إلى حيث يمكن الإشراف على مشهد النبى – عليه السلام – والمتجمعين معه بذى طوى..».

أبو قحافة : (لابنته وقد اشتد فضوله) أى بنية!! ماذا ترين؟

البنية : أرى سوادًا مجتمعًا..

أبو قحافة : تلك الخيل.

البنية : وأرى رجلا يسعى بين ذلك السواد مقبلاً ومدبرًا.

أبو قحافة : أى بنية، ذلك الرجل الوازع (الذى يأمر الخيل ويتقدم عليها).. (يستأنف) ماذا ترين؟!

البنية : أرى السواد قد انتشر وتفرق!

أبو قحافة : إذن دفعت الخيل وانتشرت.. فأسرعى بنا إلى بيتى..

«ابنــة أبــى قحافة تقوده راجعــة إلى الدار..
بالأبطح يســمعان دبيب مقدم الخيــل، فيغزان
الخطـى إلى الدار قبل أن يداهمهمـا الطوفان!!..»

* * *

«قبــة رســول الله – صلى الله عليه وســلم –
بالحجون بشــمال مكة، وقد مكث ســاعة حتى
اطمأن الناس.. النبى – عليه الســلام – يغتسل
ويدعو براحلته القصواء، فيستوى عليها وقد حف
الناس به، والخيل تســعى فيما بين الخندمة إلى
الحجــون.. إلى جــوار النبى – عليه الســلام –
يســير أبوبكر الصديق يتحادثان.. النبى – عليه
السلام – آخذ فى قراءة سورة الفتح.. الموكب يمر
ببنات أبى أُحَيْحة وقد نشــرن شــعورهن يلطمن
وجوه الخيل بالخُمر – النبى – عليه الســلام –
ينظر متبسمًا إلى أبى بكر فيذكـر بيت حسـان بن
ثابت ويطفق منشدًا..»

أبوبكر : تظل جيادنا متمطّراتٍ يلطّمُهُنَّ بالخُمُر النســاء

«الكعبــة تبــدو فى الأفــق، النبــى – عليه
الســلام – يتقدم على راحلته ومعه المســلمون،
فيستلم الركن بمحجنه ويكبر.. المسلمون يكبرون
ويرجعون التكبير من ورائه حتى تكاد مكة ترتج
ارتجاجًــا من أصداء التكبيرات وجعل الرســول
يشير إليهم أن اسكتوا..».

«على قمم الجبـال المحيطة بالبيت الحرام، يقف المشركون ينظرون وقلوبهم مليئة بالحسرات.. النبى – عليه السلام – يبدأ الطواف بالبيت وقد أخذ محمد بن مسـلمة بزمام الناقـة.. النبى – عليه السلام – يقبل على الحجر فيستلمه ثم يبدأ الطواف بالبيت..».

«النبى – عليه السـلام – بيده طرف قوس، كلما مرّ – عليه السلام – بصنم من الأصنام التى بلغت ثلاثمائة وسـتين صنمًا، يشير إليه بطرف القوس فيهوى تحت طرقات المسلمين بينما النبى – عليه السلام – يقول:

النبى : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا!!

«بعد الطواف، وقد حل المسـاء وأرخى الليل سـدوله.. و«هبل» أكبر الأصنام حجمًا جاثم فى جوف الكعبة.. النبى – عليه السـلام – يلتفت إلى على بن أبى طالب..».

النبى : (لعلىّ) اصعد على منكبى واهدم الصنم.

على بن أبى طالب : (مستهولا) يا رسول الله بل اصعد أنت فإنى أكرمك أن أعلوك..

النبى : فاصعد أنت..

«النبى – عليه السـلام – يجلـس آمرًا على بـن أبى طالـب أن ينفـذ ما أمـره به.. على وقد تملكه الحياء والإشفاق يصعد متحرجًا على كاهل

النبـــى.. النبى – عليه الســـلام – ينهض به إلى حيـــث صعد على فوق ظهر الكعبـة، على يعالج الصنم ويزحزحه ويلقيه على الأرض فيتناثر قطعًا وأجزاءً والنبى – عليه السلام – يرجّع نـداءه..».

النبى : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا..

«علـــى جانب مـن الملتفين حول الكعبة، أبو ســفيان ينظر مبهورًا بقلب واجف، يلتفت إليه الزبير بن العوام مناوشا..»

الزبير بن العوام : (لأبى ســفيان) قد كسر هبل!!.. أما إنك قد كنت فى يوم أحد فى غرور حين أخذت تقول: اعل هبل!!!

أبوسفيان : دعنى ولا توبخنى يا ابن العوام، لو كان مع إله محمد إله آخر لكان الأمر غير ذلك!

«النبى – عليه الســلام – يصلـى ركعتين، ثم ينصرف المسلمون من حوله يكبرون – إلى زمزم، ما يكاد يطلع عليها حتى طفق يقول..».

النبى : لولا أن تُغْلب بنو عبد المطلب لنزعت منها دلوًا..

«العبــاس يتقدم فينزع للنبى – عليه الســلام – دلوًا ويقدمه إلى الرحمة المهداة.. يشــرب عليه السلام ويتوضأ والمسلمون منه.. على مقربة تقف ثلة من المشــركين تراقب فى تعجب.. إن بعض المســلمين يبتدرون وضوء رسول الله يصبونه على وجوههم..

المشركون : (فى تعجب وحســرات) ما رأينا ملكًا قط أبلغ من هذا ولا سمعنا به!!